ولم يعد يراها بعينيه، التفت إليها قلبه وظل يرنو إليها.
لقد صور القلب وكأنه محب مفارقٌ ينظر إلى ديار أحبابه.

ومن الشعراء العلماء، شيخ الحجاز وعالمه، الشيخ العلامة محب الدين أبو جعفر حمد بن عبدالله بن حمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي من علماء الشافعية وأتقيائهم.

ومن شعره:

ما لطرفي عن الجمال براح ... ولقلبي به غُدَيّ ورواح
كل معنى يلوح في كل حيّ ... لي إليه تقلّب وارتياح

إلى أن يقول:

فبهمْ يعشق الجمالُ ويُهوى ... ويشوق الحمى وتُهوى الملاحُ
وبهم يعذُبُ الغرامُ ويحلو ... ويطيب الثناء والامتداحُ
لا تلم يا خليُّ قلبيَ فيهم ... ما على من هوى الملاحَ جُناحُ
ويح قلبي وويح طرفي إلى كم ... يكتم الحب والهوى فضاحُ
صاحِ عرِّج على المضيق وسَلْعٍ ... وقباب فيها الوجوه الصباحُ

وفي هذه الأبيات من نسمات الحجاز وملامحه ما لا يخفى على القارىء الفطن .. وحسبنا أن نشير إلى بعض الكلمات والتعبيرات الحجازيةفكلمة (براح) كلمة حجازية ما تزال مستعملة حتى الآن وجملة (الهوى فضاح) عبارة يرددها أهل الحجاز.

ومن العلماء الشعراء: فخر الدين الشبياني عالم فاضل من علماء القرن الهجري السادس:

ومن شعره:

كن كيف شئت فإنني بك مغرم ... راض بما فعل الهوى المتحكم
ولئن كتمت عن الوشاة صبابتي ... بك فالجوانح بالهوى تتكلم
أشتاق من أهوى وأعلم أنني ... أشتاق من هو في الفؤاد مخيّم
يا من يصد عن المحب تدللاً ... وإذا بكى وجداً، غداً يتبسم
أسكنتك القلب الذي أحرقتَه ... فحذار من نار به تتضرم

والبيت الأخير يذكرني ببيتين لا أذكر قائلهما وهما:

يا محرقاً بالنار جسم محبه ... مهلاً فإن مدامعي تطفيه
أحرق بها جسدي وكل جوارحي ... واحذر على قلبي فإنك فيه

# دمعة

**شعر / محمد السعدي**

قضىٰ الباري
وفي الله العَزاءُ عَلىٰ مدىٰ الزَّمنِ
أيا أبتِ رَحَلْتَ ، وفي الحشا شوقٌ إليكَ يجيشُ بالحَزَنِ
لَئِن غادَرتَني فلَدىٰ الفُؤادِ شَهادةُ المِحَنِ
وأظلمتِ الثرىٰ في مُقلَتي حَتّىٰ غَدوتُ أسيرُ في الظُّلَمِ
بِلا عَينٍ ولا أُذُنِ ...

* * *

كما اخضَلَّتْ بِطُوفانِ الجِراحِ جَوارِحُ البَدَنِ ...
فدبتْ وادلهمَّت في ضنى الأدمِ
تناسَلَتِ الهمومُ فَهُنَّ كالدَّأماءِ والدّيمِ
وما الدُّنيا سِوىٰ تيهٍ وإبحارٍ بلا سُفُنِ
وأحْرُفُ طَلْسَمٍ تُنبي عَنِ الأُمَمِ.

* * *

سَجا اللّيلُ الذي أسلمتَ فيهِ الرُّوحَ لِلقدّوسِ ذي المِنَنِ
لكَ الرحَماتُ ما سَطَعَتْ نجومٌ في السَّماءِ وَما ارعَوىٰ عدلٌ عَنِ الفِتَنِ
دُعائي دائمٌ وتحيتي.. وهُداي ما تهجَّدَ مُقرىء في هَدأةِ الزَّمَنِ

* * *

نَسَختُ تَبَتُّلي في دَفترِ البَدَنِ
أيا أبَتِ سَلامٌ مِنْ رَحيمٍ غافِرِ الوَهَنِ.
دَعوتُ الله في سِرّي وفي العَلَنِ،
دَعوتُ الله أن يَأويكَ في عَدَنِ،
فإنّي أُشهِدُ القيُّومَ أنّكَ صاحبُ الكَرَمِ
صادِقُ الكَلِمِ
طاهِرُ الشِّيَمِ ...

لكَ البُشرىٰ
وأرشدَكَ البشيرُ إلىٰ جِوارِ اللهِ في عَدَنِ،
وتلكَ المُنْيَةُ القُصوىٰ
نزلتَ بِجَنَّةِ المَأوىٰ شَهيداً في حِمىٰ المَوْلىٰ.
إليكَ تحيتي .. وإلىٰ اللقاءِ، إلى اللقاءِ إلىٰ اللقاء...

# فصل من عالم الأميري

سعيد ساجد الكَرواني

عمر بهاء الدين الأميري

بعد طول تأمل، ظهر لي، بما أن أكبر عدد ممكن من دراسة شعر عمر الأميري رحمه الله يحتضنه ديوانه «ألوان طيف»، أن أقدِّم هذه المغامرة، كيف لا؟! وبهاءالدين يقول بذات الصدد: «ألوان طيف» ثاني ديوان أنشره بعد «مع الله» خمسون قصيدة في فنون مختلفة(١) (...) بدأت أقول الشعر وأنا طفل في التاسعة! وأحرقت ديواني الأول وأنا ابن اثنتي عشرة، واجتمع لي منذ ذلك الحين، حتى شارفت الخامسة والأربعين، عشرون ديواناً لم أنشر منها بعد إلا «مع الله»!

وهو الجانب الإلٰهي من شعري، وفي مقدمته ذكرت: «قيل لي: هلا بدأت بنشر شعرك؟! قلت: أبدأ ... لا .. لماذا؟! أبدأ ... متىٰ ... وبماذا؟! أصداء طفولة -بواكير الشباب- قصتي مع الشعر -مع الله- في بلادي -أنين وحنين- صراع - خماسيات- مع القاضي الزبيري(٢)- رجال وأشباه- عواطف وعواصف- جمال وهوىٰ - الموؤودات- أفانين- ألوان طيف؟!

قلت أبدأ «مع الله» ولكنني إن فعلت، أخشىٰ شبهة النفاق، فما كل شعري «مع الله»، ولقي ما لم أتوقع له: حفاوة في عوالم العرب والإسلام والاستشراق! وعقوقاً في وطني الصغير «سورية»!! وكان الذي توقعت؛ فقد تلقاني قراء الديوان ونقدة الأدب - غير ملتفتين إلىٰ ما ذكرته في مقدمته- علىٰ أنني «صوفي كبير»! «شاعر إلٰهي» ! «نسر هابط في ظلال المحاريب»!!، ويا ليتني كنت كذلك! إنه مقام سام أصبو إليه، ولا أقدر عليه، فإنني عنه رهين، رهين أغلال الحمأ، وأوصاب الحياة، ولأواء الظمأ الإنساني في نفس شاعر، أريد تساميا، فأظل أرنو إلىٰ الجوزاء، في كبد السماء، وأصفو، والكدورة في كياني، ألست جبلت من طين وماء؟! إنني إنسان، إنني «فنان»، إنني ألوان، «ألوان طيف»(٣). إن ذلك كله، هو الأمير، وما الأمر إلا لتواضعه المنبجس من شموخ الإسلام العظيم... وهكذا ينبغي أن يكون، وإلا لما استحق كل ما استحق. عزمت إذن علىٰ الخوض في «ألوان طيف» لقيمته، وكثرة قصائده التي تكفي لمعرفة الفضاء الشعري عند الأميري، وهو يقول في هذا الشأن كذلك: «وصلني مزيد من الدراسات والتعليقات علىٰ ديواني «مع الله» وكلها تردد «الصوفي الكبير» فأخذني رهب، من ثقل هذا الإسم!! وبدا لي، أن أترك «أبوة وبنوة» للأقدار التي أبطأت به -لا سيما أنه لون واحد في شعري- وأن أبادر إلىٰ نشر ديوان يعطي عني صورة مستوفية، أو تكاد تقرب حقيقتي للناس كما أنا... لا كما يُظَنُّ بي، أو يُراد لي، وهكذا كان ظهور ديوان «ألوان طيف»(٤).

فالحمد لله، لقد طابق اختيار الدراسة -كذلك- الصورة التي أحب الأميري رحمه الله أن تتشكل في أذهان القراء الكرام؛ فكان العنوان وَفْق ذلك ما قد علمت. إلا أنني الآن، لن أحتفل إلا ببعض الارتسامات علىٰ أن تُضاف إلىٰ محاور أخرىٰ لتشكل كتيباً أرجو أن يرىٰ النور قريباً. وحق للأميري أن يطلعنا علىٰ تجربته مع الديوان، لأنه مهما تحدث الناقد وتحدث، فلن يبلغ ما أراد الشاعر بالتمام والكمال، أما الاستثناء، فيثبت القاعدة ولا ينفيها، ونذكّر هنا بابن جني مثلاً، ومعرفته بأشعار المتنبي أكثر من الشاعر نفسه باعترافه. «اصطنعت في «جبل الاربعين»(٥) رأس «أريحا»(٦)

المشرئب، بيتاً تصطاف فيه الأسرة، وأتخذه دار عزلتي، ألوذ به من وعثاء الزمان، و«منغصات العيش في حلب»! خِلَساً من خريف ... وأياماً من ربيع، أفرغ فيها لذاتي، طلقا من إسار الناس، أعد لنفسي أبسط الطعام أحيا علىٰ السجية، وأنطلق مع الشعر «هو في غربته يأنس بي ... وأنا في لحنه أشكو الدنىٰ». أسرح ولا أمرح! أجعل الخبز فتاتاً في دروب النمل، أنقذ الفراش من شباك العناكب، أستمتع بتأمل العصافير، تختلس أثمار شجري بنهم، وتغرد في نشوة، أتسلىٰ بالقطة الشرود والمستوحشة أهّلها برّي بها، فأخذت تأنس بي وتهرّ لي، تثب إلىٰ حضني، تنطح يدي، وتلعق أصابعي:

والهرة الشعراء تنطحني ... وتمد أيديها علىٰ ركبي
كسلىٰ تشم أناملي ملقاً ... وتموء في رفق وفي أدب
وتعضها هوناً وتلعقها ... ولسانها كالمخمل الزغب
وتعوق خطوي في تدللها ... وتسير إما سرت في طلبي
فإذا جلست جثت على قدمي ... والرأس معكوف على الذنب

(شبح الخريف ٣٠٠/ ٣٠١)

## في وحدتي

في وحدتي حتىٰ الفرا ... شة خلفت خدي وطارت
ورمت بهيكلها علىٰ ... بلور نافذتي ودارت
ففتحتها حتىٰ تطير ... ولست أدري أين صارت

١٧٨/١٧٧

ألتمس في الزهر والشجر وفاء وصفاء أفتقدهما في البشر:

## في غلق

وصحاب في جدال ... ومضي غير صائب(٣٩٩)
فإذا واتتهم الأيام ... فالربان سائب(٤٠٠)
ضل من يأمل أن يقهر ... باللغو المصائب(٤٠٠)
خاب في الناس اعتمادي ... ومضائي غير خائب
كلما بادر بي عَزْ ... مي إلىٰ شم المطالب
ردني صحبي إلى مُرْ ... تَهني من غير صاحب
فحياتي غلق في ... غلق، والدهر دائب(٤٠١).

في هذا الزمان حيث تبحث عن الخلان لتجد الخذلان، وصدق ما نُسب إلى الإمام علي رضي الله عنه:

وما أكثر الإخوان حين تعدهم ... ولكنهم في النائبات قليل

ولكن ليس هذا الأمر غريباً في هٰذا الواقع الغريب، حيث صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً، إذ انكفأ الميزان:

## يار حمة الله

نعيش في عصر موازينه ... في الحق قد آلت إلىٰ ضده
هزاله أفعل من عزمه ... وهزله أمثل من جده
أما أخيَّ واحد في الدنىٰ ... يَحْبُوكَ ما تحبوه من وده؟
قد تعب الحر، وأعياه في ... دنياه، ما يعجز عن عده(٤٢٥)

لا شك أنه شعور حاد حين يتنكرك الأصحاب، لا يعرفه إلا من ذاقه... أصنع بالأوهام من هيولي الغمام عرائس الأحلام. أملأ من أعناب الإشراق دنان الآفاق، وأشارب

## امتلك الأميري نواصي عبقرية فذة وشاعرية متألقة في مهارة فائقة

بنات الأذواق سلاف الأشواق، أبكي بدمع الغروب الحزين، وأفتر مع الفجر البسام، وقد أرسل من القلم، مداد ألم، وأخط في السطور بوارق سرور، أسكب المشاعر شعراً، من كيان حيران، بين أنّىٰ وكيف!؟ في أشكال وألوان «ألوان طيف» وحي سنواتي الخمس الأخيرة يزيد عن أربعمئة قطعة، منها القصيدة تبلغ أبياتها المئتين! ومنها الرباعية في بيتين، وفي هذا الديوان مختارات، موضوعاتها أفانين متباينة متلاقية، نبات مختلف ألوانه يسقىٰ من ماء واحد، ولعلها تبرزني كما أنا، وتنقذني من شبهة النفاق، وسمة الصوفية، التي أكبرها نقية تقية، ولكنني لا أستحقها!!

هذا الديوان أضاميم شوك وزهر، من نتاج شطر من العمر، جزء يسير ، ولكنه قد يَكفي، لإظهار ملامح شاعر، والتعريف بإنسان، إنسان، إنه أثارة من شعري المسطور.(٧).

## شاعرية متألقة:

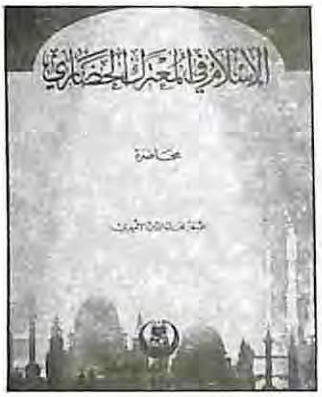


مَن مِن أصحاب العقول والقلوب لا يعرف الأميري عمر؟ ومن من العرب والمسلمين، لا يعرف قيمة الشاعر المفكر العملاق بهاء الدين الأميري، مَن مِن الشعراء والنقاد والأدباء، لا يعرف صاحب الدواوين الثلاثين التي تحكي قصة (العبقرية) الفذة، والشاعرية المتألقة، اللتين امتلك الأميري نواصيهما في سبحات روحه الشفيفة، وعروج نفسه ذات الألق الحضاري المرسوم بذوق إسلامي رفيع، هيهات أن يكون في غير أصحاب النفوس الكبيرة، والقلوب الحية، والعقول التي استنارت بنور الربانية، فهفت إلىٰ الحق والحقيقة الإلٰهية، فصاغت من حاملها شاعراً ذواقاً، جميل الوجه واليد واللسان، جميل المحيا، ويحب الجمال ويهيم فيه... فكان مثلاً حياً لذوق رفيع ... رفيع ... رفيع، وخلق تسامىٰ وتسامىٰ، حتىٰ صار مضرب المثل مدىٰ الحياة المريرة التي ملأها شاعرنا العظيم بألوان زاهية في ذكريات حبيبة ضمخت حيوات أصداقائه ومعارفه وتلاميذه بأشذاء روحية لا تبلىٰ على الزمان، (...) وعندما سألته عن صحته في آخر مكالمة هاتفية في مهاجره في «المرهورة» المغربية، أجاب:

ماذا يُهمك من صحة رجل أكل عمره؟ اسأل عن صحة أحوال المسلمين، فالمسلمون مرضىٰ وأحوالهم بائسة وتعيسة، تدمي القلب...

هيه يا أبا البراء ... يا بقية بقايا الصالحين والعمالقة في دنيانا ... لقد ثويتَ إلىٰ جانب رسول الله ﷺ، فنعم الثواء ... وهكذا أوصيت وكان لك ما أردت ... وكان لنا تحت كل نجم، قبر حبيب نبكيه، في زمن لا يجوز فيه البكاء...»(٨).

إنه فيض غامر من الشاعرية، والرؤىٰ المستوحاة من نبع الإسلام. تمتزج في قصائده صوفية الحب بقيم الإسلام وقضاياه، واستجلاء المواقف لاستنهاض العقيدة، مع رَصْدٍ نابضٍ بالإحساس لكل ما يستجد في ساحة الأوطان الإسلامية واستشراف المستقبل الذي تتطلع إليه الأمة، في الحرية والكرامة»(٩). كان موغلاً في التفاؤل والأمل رغم كبر سنه، رحمه الله رحمة واسعة، كان موغلاً في الاهتمام بقضايا الإسلام والمسلمين، كنت أقرأ في محياه كتاباً يمتد في ذاكرة القرن العشرين، أي روح حمل ذلك الجسد الطاعن في الإصرار؟! إصرار النقاء والطهر رغم انغراس العفونة في تفاصيل حياتنا العربية المريرة؟! أي نفس شعت من تلك الانحناءة الأبوية؟! أية طاقة كان يحملها ذلك الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية؟!(١٠).

* فروسية نادرة:

كان رحمه الله، فارساً ورائداً طموحاً في ميدانه، شديد الغيرة علىٰ الأدب والثقافة الإسلاميين، فناناً مرهف الحس والوجدان، ومربياً ومرشداً لكثير من الكتاب والأدباء داخل المغرب الأقصىٰ -حيث استقر منذ ثلاثين عاماً- وخارجه(١١)، ثم إنه يستحق بحق صفة شاعر الإنسانية المؤمنة وأمير الشعراء الإسلاميين، للنصف الثاني من القرن العشرين قاطبة، الذي يوافق أمير الشعراء في النصف الأول، وهو محمد إقبال في أقصىٰ شرق العالم الإسلامي(١٢).

إن الشاعر النموذجي الذي تتوافر فيه كل خصائص الشعرالإسلامي، هو الشاعر عمر بهاء الدين الأميري -رحمه الله- لأنه استطاع ببراعة فائقة أن يوفق بين المضامين

هذا الفارس شديد الغيرة على الثقافة الإسلامية وعلى التراث

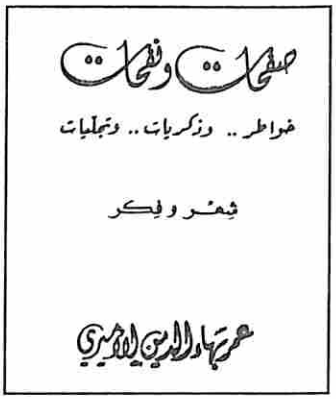


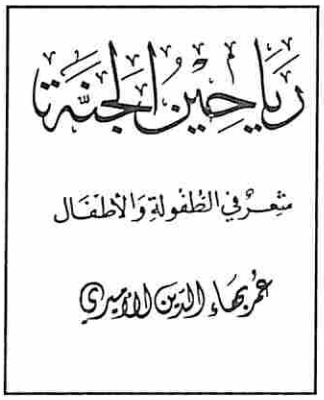

يتبنّىٰ من الناحية الفنية ما أسميه بالرومانسية الروحية، وأعني بها الانطلاق بالنفس والروح والخيال في أعماق الذات البشرية وأعماق الشخصية المسلمة وأعماق ذاته في المناجات والروحيات. فإذن نحن أمام خيال ابتكاري لا يضرب في مجالات الشرود والانطلاق المغرقة، ولكنه جعل من النفس الإنسانية والمسلمة، أفقاً أوسع من آفاق الطبيعة فتشعر أنك أمام عوالم بلا حدود، متسعة، مترامية، لا عالم واحد، ذي نطاق محدد، واستطاع الأميري أن يمزج الحقيقة الإسلامية بالجمال الوجداني، والانفعال الصادق في عجينة واحدة. وهو بمسلكه هٰذا يعد دفاعاً عملياً عن الشعر الإسلامي المتهم بالجفافية الفكرية، على حساب الجمالية الفنية.

وعمر بهاء الدين الأميري -زيادة علىٰ ذلك- متفرد بجانب آخر، لَمَّا ينتبه إليه أحد(*) وهو تقديمه النثري لكثير من قصائده، فالذي لم يدرس عروضاً قد يعتقد أن هٰذا التقديم النثري، داخل في صلب القصيدة- يقول الدكتور جابر قميحة:

وأنا أرى أنه إذا أصر دعاة (قصيدة النثر) علىٰ ادعائهم، لكانت مقدمات عمر بهاء الدين الأميري لقصائده هي المثال الحي لقصيدة النثر(١٣)(●).

وما أطيب وأصدق ما قال فيه سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي أثناء تقديمه لكتابه رياحين الجنة(١٤):

## ديوانه «رياحين الجنة» إثراء للمكتبة العربية والإسلامية

أخي أبا براء:

إن تاريخ الأدب العربي الإسلامي سيحفظ لك إن شاء الله -وهو أمين- ما أسديت إليه من يد بديوان شعرك الأول «مع الله» وما أتبعته بديوان شعر «ألوان طيف»، وقد وجدت في شعرك دائماً لذة ومتعة وسعادة مالا أجده في غيره من الشعر الجديد، وهو -والحق يقال- نفحات من الإيمان وقبسات من نور القرآن، صدق العاطفة، ورقة الشعور، وتصور دقيق لهواجس النفس وخلجات الفكر، وكم تمنيت أن كنت معك في محراب دعائك، وفي لحظات ابتهلاتك وأنت:

مع الله في سبحات الفكر
مع الله في لمحات البصر
مع الله في زفرات الحشا
مع الله في نبضات البهر
مع الله في رعشات الهوى
مع الله في الخلجات الأخر

واليوم تثري مكتبة الشعر العربي الغنية بديوان جديد «رياحين الجنة»، وأقول: هٰذا إثراء خير أو خير إثراء، استقبالك أرواحاً سماوية بريئة حبيبة ممن رزقت من الأولاد والبنات والأحفاد والأسباط، نِعْم البيت الذي أنت سيده، ونعمت الأسرة التي جعل الله مثلك راعيها. والتي تتشرف بأبوتك الغالية المليئة بالحب والحنان.

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، فقد سعدت نفساً بلقاء المحروس الفاضل براء عمر في ندوة الأدب الإسلامي بلكهنو وكأنّي أسمع إليه وهو يتلو شعره في صوت شجي على ما أُصيب به المسلمون في أرض الفداء .. أقرّ الله به وبمن رزقتم أولاداً وأحفاداً عينك وعين كل محب لك في الله.

أخي:

إنني لم أتعود المجاملة ولا أُحسن صَنعتها ولا أعرف أصنافها وآدابها إنما الشيء الوحيد الذي عرفته في حياتي هو أن الإخلاص لله لا يموت والذي يذكر الله في خلواته وهمساته لن يضيعه الله.

فأنت وقد خصك الله بمواهب جماعها الإخلاص للمولى جل وعلا، وشعرك المتدفق على لسانك آيات من رحمة الله عليك؛ وتلك الرياحين التي أنعم الله بها عليك سوف تعبق بها الأجواء الروحية إلى زمن طويل.

شكر الله لك يا أبا براء، وتقبّل منك صالح الأعمال ولك كل تقدير واحترام من رابطة الأدب الإسلامي التي أهديت لها هٰذا الديوان الذي هو فتح باب جديد في أصناف الأدب، والحمد لله بارىء النسم وفالق الحب والنوى».

## هوامش

(١) عمر بهاء الدين الأميري، شعر «ألوان طيف» بغير طبعة وبغير تاريخ، ص٧ .
(٢) أبو الأحرار الوزير اليمني الشاعر الشهيد القاضي محمد محمود الزبيري الداعية إلى الإسلام ومؤسس حزب الله، نفس المعطيات السابقة معجم الديوان ص٤٤٤ .
(٣) نفسه من ص ١٤ إلى ١٨ .
(٤) نفسه ( ص٢٠ - ٢١).
(٥) من مراكز الاصطياف في شمال سورية.
(٦) منطقة اصطياف في محافظة «أدلب» سورية.
(٧) نفسه (من ص٢٢ إلى ٢٦).
(٨) جريدة الراية المغربية عدد ٢٣ ص ١٦ (دمعة على الأميري) بقلم: عبدالله الطنطاوي .
(٩) ملحق العلم / الفكر الإسلامي سنة ١ عدد ٣٠ الجمعة ٤ ذي القعدة ١٤١٢، ص٨ والأخيرة.
(١٠) بتصرف من استهلال الحوار الذي أجراه محمد إقبال عروي مع شاعر الإنسانية المؤمنة عمر بهاء الدين الأميري رحمه الله / الملحق الثقافي لجريدة الإصلاح المغربية ع٢٠ ص٢ / مجلة الأصلاح س ٨٧-٨٨-١٩٨٩ .
(١١) مجلة العالم اللندنية ع٤٣٨، ٣محرم ١٤١٣ ص ٣٥ .
(١٢) جريدة الراية ع٢٢، ١٥ ذي القعدة ١٤١٢ ص١٦ (إنا على فراقك يا بهاء الدين لمحزونون) للأستاذ المقرىء أبي زيد الإدريسي.
(*) الدكتور جابر قميحة قد تفطن لهذه الأمر الكثير.
(١٣) الدكتور جابر قميحة / (جريدة المسلمون) س٨ ع٣٩٤، الجمعة ٢٣ صفر الخير ١٤١٣ ص٨ (من الأدب والثقافة) من حوار أجراه معه من القاهرة محمد سيد بركة.
(●) (قصيدة النثر) في الحقيقة تحمل عناصر فنائها فيها للتناقض السافر وبهذا الصدد يقول الأميري: «إن إعطاء القيمة للأثر الأدبي، لا ينبغي أن تكون مرهونة بهذا الشكل أو ذاك، حتى لا نقحم على الشعر إنتاجاً جديداً، هو يبتعد -حسب فهمي- عن جمالية الشعر وخصائصه.
خذ مقامك الأدبي بجوهر ما تعطي، سواء كنت شاعراً أو ناثراً، فكم من ناثر قيمة نثره أكثر من قيمة كثير من دواوين الشعر(٢٢).
أقول أما «التنغيم» -إذا وظفنا مصطلح الدكتور حسن الأمراني- شريطة كونه ملحناً أو قابلا على الأقل فنحن نحتضنه...
(١٤) منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية «رياحين الجنة» عمر بهاء الدين الأميري، شعر في الطفولة والأطفال، دار البشير، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٧-٨-٩ .

# ملامح الأدب الإسلامي التركي


إعداد: علي نار
ترجمة: يوسف خلف


الأتراك شعب من شعوب آسيا الوسطى، وأتراك الأناضول من فروع قبائل أوغوز التركية، وقبائل التركمان من الفروع التي يتصل نسبها بالقبائل التركية. أما الأتراك الأذربيجانيون فهم يحملون صفات كلا الفرعين. وقد أعلن الأتراك إسلامهم في القرن الثامن الميلادي، وطبيعة حياتهم تعتمد على التنقل، وإن تلك الحياة زرعت في نفوسهم حب الشعر، فتجاوبت الشاعرية لديهم مع النفحات الشعرية الإيمانية الإسلامية، فامتزج الاثنان معاً، فظهر الشعر الإسلامي في البداية على شكل أدب شعبي، وامتد هذا حتى القرن العاشر، حيث نجد يوسف حجابي وكتابه العلوم الهامة (قولتو بيلجيلر)، وفي القرن الثاني عشر ظهر كتاب (عتبات الحقائق) تأليف أديب أحمد يحمل نمطاً من الأدب الإسلامي، فهو عبارة عن نصائح دينية إسلامية، على شكل شعري. أما ملحمة مناس فتعتبر أول مثال حي يشهد على بطولات الشعب التركي المسلم، من أجل الدفاع عن الدين الإسلامي. ثم ظهر بعد ذلك أدباء بارزون أمثال الشاعر (علي بشير نواي) ثم ظهر بعد ذلك الأدب الإسلامي ذو الصبغة الصوفية (أمثال الشيخ أحمد يوسوي)، وتعتبر هذه الخطوة بداية أدب الزوايا والتكايا. وجاء بعد ذلك الشاعر الصوفي مولانا جلال الدين الرومي بديوانه القيم (المثنوي) ثم تلاه السلطان ولد، وأعقبه بعد ذلك الشاعر الصوفي الكبر (يونس أمره) ليتألق الأدب الإسلامي ويزدهر، ويسمو في ميدان الأدب وشتى الموضوعات.

وهكذا بلغ الأدب الإسلامي الصوفي ذروته في أيام مولانا جلال الدين الرومي، والشاعر يونس أمره، ثم جاءت مرحلة امتزج فيها الأدب الشعبي الإسلامي مع أدب المثقفين، ومن أهم هؤلاء الأدباء أحمد فقيه، وسليمان جلبي، وحاجي بايرام ولي، وإبراهيم حقي أرضرومي. وتأصل الأدب الإسلامي فيما بعد على يد الشعراء نيازي مصري، ونسيمي، وأحمدي، والقاضي برهان الدين، وقد تضمنت عناصر الشعر في هذه المرحلة جميع عناصر ورموز الشعر الديواني، وإن نتاجات هؤلاء الشعراء احتوت معاني مجازية في الحب الألهي والشعر الصوفي.

لقد كان الهدف العام هو خشية الله وحب الرسول والدفاع عن الحق والأخلاق، وهكذا كان ازدهار أدب التكايا والزوايا والشعر الصوفي الذي يمثل أدباً ينطلق من مبادىء الفكر الإسلامي، وقد لا نستطيع أن نسمي هذا اللون من الأدب أدباً إسلامياً حسب المفهوم الحديث للأدب الإسلامي.

وإلى جانب الأدب الصوفي ازدهر أيضاً الأدب الديواني، محتوياً مفاهيم الثقافة والحضارة الإسلامية لقد كان الهدف الأساسي للأدب الديواني هو الإبداع الفني الأدبي ولكن المحتوى هو الترنم بالحب والشوق، انسجاماً مع الإطار السياسي العام للنظام الإسلامي.

كان الشاعر الديواني يبدأ قصيدته بالحمد لله والثناء والدعاء، ومدح الرسول والمناجاة، والتغني بالجنة والحق والموت.

في مرحلة الأدب الديواني ظهر بعض الشعراء الإسلاميين بالمفهوم الإسلامي الكامل، كالشيخ غالب، والشاعر (باقي)، وشيخ الإسلام يحيى، وتميزت أشعارهم بالرصانة والمستوى الأدبي الرفيع، أما الشاعران فضولي، ونابي فقد غلب على شعرهما طابع الحس الديني أكثر من الحس الأدبي، حتى إن قصيدة (ماء) للشاعر فضولي أشبه بقصيدة (البردة). وإلى جانب هذا التطور في الأدب الإسلامي على مستوى المثقفين تطور أيضاً فيما بعد ما نسميه بالشعر الشعبي، الذي قاله العامة من الناس، الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، مثل نظم الأغاني أو الملاحم، فعلى الرغم من أن هذه الأشعار لم تكن إسلامية إلا أنها لا تخلو من آثار الشعور الديني الإسلامي.

وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهرت الاتجاهات المتباينة في الأناضول، وقد تميز الاتجاه الإسلامي عن الاتجاه المعادي للإسلام. ففي عهد التنظيمات نبع بعض الشعراء الكبار ممن حملوا الراية الإسلامية إلى جانب انتماءاتهم السياسية مثل الشاعر ضياء باشا والشاعر نامق كمال والشاعر عبد الحق حامد، وامتازت هذه المرحلة بثلاثة جبهات أدبية:

١ - القوميون الأتراك. ٢ - المتأثرون بالغرب. ٣ - الإسلاميون.

وقد تباينت هذه الجبهات الثلاث بشكل واضح في نهاية الأمبراطورية العثمانية وبداية قيام الجمهورية، فالأديب عمر سيف الدين كانت قصصه ورواياته تتضمن بعض المفاهيم الإسلامية، ولكن هدفه الأساس كان هو المضمون القومي وتبعه ذلك الشاعر يحيى كمال. أمّا الشاعر كمال أديب كوركجي أوغلو فلم يستطع أن يضمن قصائده، سوى بعض الأمنيات الإسلامية، أما الشاعر (فاروق نافذ جاملي بل) فقد تنقل بين القومية والمبادىء الإسلامية ومع هذه المجموعة من الشعراء يجدر بنا أن نذكر أيضاً الشاعر (عارف نهاد آسيا) الذي بقي مخلصاً للفكر والثقافة الإسلامية بأشعاره الرائعة.

ولكن في مقدمة هؤلاء الشعراء جميعاً نجد الشاعر الكبير محمد عاكف الذي ظل دائماً يحمل الفكر الإسلامي، ويجسد القضايا الإسلامية، ويضرب أروع الأمثلة، حيث احتل لأول مرة الأدب الإسلامي مكانه في تركيا، وتبعه بعد ذلك الأديب والمفكر والشاعر نجيب فاضل قيصه كورك، بشعره وقصصه ورواياته ومسرحياته الإسلامية، وهو بدافع عن الشرق الكبير. وهكذا فإن الأدب الإسلامي بدأ يتأصل ويثبت وجوده، ويرد على التحديات، واستطاع أن يقف صامداً أمام التيارات الأخرى، مستمداً قوته من الإسلام.

## اكتملت جوانب الأدب الإسلامي في تركيا في القصة والشعر والمسرح والمقالة

ونستطيع أن نقول إن الأدب الإسلامي التركي قد بدأ انطلاقته العظيمة مع الشاعر محمد عاكف، وهو يرمق الجيل الإسلامي الذي يرمز إليه بـ(نسل عاصم) الذي لا يقبل عن الإسلام بديلاً.

أما مع نجيب فاضل قيصه كورك فتأصّل الأدب الإسلامي بالدفاع عن المبادىء الإسلامية التي يرمز إليها بـ(الشرق الكبير) وأخيراً يتجسد الأدب الإسلامي في مخيلة الشاعر سزائي قره قوج بعبارة (البعث الإسلامي).

وبذلك نجد أن الأدب الإسلامي انطلق بـ(نسل عاصم) ليتأصل بمدرسة الشرق الكبير، ويثبت وجوده وينتشر أفقياً بالبعث الإسلامي، وبعد ذلك بدأ الأدب الإسلامي يكتمل بكل جوانبه في الشعر والقصة والرواية والمسرحية وأدب الأطفال والمقالة، وأغلب هؤلاء الأدباء الذين يكتبون في هذه المجالات إنما يقتبسون من نجيب فاضل الفكر والموقف، ومن سزائي قره قوج الشكل والأسلوب وهم:

نوري باق دل، محمد عاكف انان، راسم أوزدان أوران، جاهد ظريف اوغلو، أردم بيازيد، مصطفى مياس أوغلو، دورالي يلماز، مصطفى قوتلو، عثمان يوكسل سردهن كجدي، حسين حشمت جنكيز الباي، علي نار.

إن الأدب الإسلامي التركي قد ازدهر إلى جانب الأدب القومي واليساري الاشتراكي اللذين تأثرا كلياً (شكلاً ومضموناً وفكراً) بالأدب الغربي، أما الأدب الإسلامي فقد تأثر شكلاً بالأدب الغربي، وبقي المضمون والهدف والشعور إسلامياً بحتاً.

لقد وصف بعض الدارسين الأدب الإسلامي التركي في هذه المرحلة بأدب التصدي والمقاومة، مثلاً يقول الدكتور محمد حرب: إن الأدب الإسلامي التركي يعتبر أدب الصمود والمقاومة الإسلامي. أما الدكتور حميد الله فيصف الأدب الإسلامي التركي قائلاً:

(إن الأدباء الإسلاميين في تركيا أسلوباً وفكراً وشكلاً ومضموناً وموضوعاً ومحتوى يشكلون تياراً أدبياً جديداً، فبكتبهم ومجلاتهم، وصحفهم يضاعفون إمكانياتهم وقوتهم يوماً بعد يوم).

**الأدباء الإسلاميون الأحياء في تركيا:**

سزائي قره قوج (شعر، قصة، مقالة، تحليلات فكرية، ومن أشهر مؤلفاته مع الخضر ٤٠ ساعة، كتاب طه، الأصوات، الأعمدة، البعث) - نوري باق دل (مسرحية، مقالة، خاطرة) - راسم أوزدان أوران (رواية، قصة) - علاء الدين أوزدان أوران (رواية، قصة) - عبدالله حاجي طاهر أوغلو (شعر) - جاهد ظريف اوغلو (شعر، قصة، أدب الأطفال، مقالة) - محمد عاكف انان (شعر، مقالة) - مصطفى مياس أوغلو (رواية، قصة، شعر، مقالة) - مصطفى قوتلو (قصة) - عصمت أوزال (مقالة، شعر) اسماعيل قللي أوغلو (قصة، مقالة) - عبد الرحمن قره قوج (شعر، هجاء شعبي) - يشار قبلان (شعر، نقد) - دورالي يلماز (قصة، رواية) - محمد روحي شرين (شعر أطفال) - أحمد أفه (قصص أطفال) - حسن نائل جانات (مسرحية، روايات أطفال) - عثمان صاري (شعر) - مصطفى يازغان (شعر، قصة، رواية، مقالة، قصص أطفال) - صالح ميرزاب باي أوغلو (شعر) - رفقي قاياز (شعر) - علي نار (رواية، مسرحية، مقالة، قصة) - حكيم أوغلو اسماعيل (رواية، قصة، مقالة) - اطغرل دوزداع (نقد أدبي) - أبو بكر آرأوغلو (شعر)، - أحمد كونباي يلدز (رواية) - محمد أتيلا مراش (شعر) - متين أونال منكوش أوغلو (شعر) - وهاب أقباش (شعر) - إبراهيم علوي ياووز (رواية) -ياووز بهادر اوغلو (روايات تاريخية) - بشير آيوازا وغلو (شعر).

ولن ننسى في هذا الزحام الأدب الإسلامي النسوي التركي حيث حملت النساء المسلمات راية الإسلام فكراً وجهاداً ومن أشهرهن: شولة يوكسل شنلر (قصة،، رواية، مقالة) - إنجي بش أوغول (قصص أطفال، رواية، مقال) - أمينة شنلك أوغلو (شعر، رواية) - سويم عاصم جل (رواية) - جيهان آقطاش (مقالة).